الفينيقيون وعمران أوروبا

وما ذكرك الشيء الذي ليس راجعاً به الوجد الاَّ خفقة من ضلالكِ
أَمَا والذي حجَّ الملبُّون بيتهُ شلالاً ومولى كل باقٍ وهالكِ
لئن قطع اليأسُ الحنين فانهُ رفوءٌ لتذراف الدموع السوافكِ

وقد يقطع اليأسُ الحنينَ الى الوطن ولكن الذكرى تجددهُ وهي تُجدد كل يوم اذ يحمل الينا البريد اخبار ابناء الشام المتفرقين في انحاء المسكونة حيث القوا عصا الترحال ووسَّعوا المتاجر وانشأُوا الجرائد ابناء الفينيقيين الذين طافت سفائنهم بسواحل بحر الروم ودارت حول افريقية وبلغت الجزائر الانكليزية الذين مصَّروا المستعمرات في كل بلاد وصلوا اليها يوم لم يكن للاوربيين اسم يذكر

كتب الينا ولدنا من البلاد الانكليزية يقول زرت بيوت السوريين في منشستر فاذا هي قصور مثل بيوت الكبراء من الانكليز فيها المقاصير الكبيرة والصور الثمينة وافخر انواع الاثاث والرياش تحفُّ بها الحدائق الغناء وهم ونساؤهم واولادهم في اطوارهم وازيائهم واحاديثهم مثل جلَّة القوم الذين استوطنوا بلادهم . ينظر الانكليز اليهم نظر الاكفاء الى الاكفاء فيزورونهم ويضيفونهم ويدعونهم الى الحفلات الكبيرة التي لا يدخلها الاَّ خاصتهم . جاء اللورد روبرتس القائد العام هذه المدينة فكان السوريون بين اعاظم القوم الذين قُدِّموا اليهِ وحادثوهُ وحادثهم في شؤون مختلفة هؤلاء ابناء البلاد التي كانت تفيض اللبن والعسل في غابر الازمان روَّاد الحضارة وناشري راية العمران ولكن

اربَّ بهم ريب المنون كانما على الدهر فيهم ان يفرقهم نذرُ

خطب الاستاذ بويد دوكنس العلاَّمة الشهير بالامس خطبة ذكر فيها المؤثرات التي كان لها اليد الطولى في عمران البلاد الانكليزية قبل زمن التاريخ فقال ما ترجمتهُ

ان استيطان الفينيقيين سواحل بحر الروم الشرقية قبل المسيح بسبعة عشر قرناً لهُ الشأن الكبير في عمراننا فان منهم التجَّار العظام الذين نقلوا بضائع مصر واشور الى الشعوب القاطنة حول بحر الروم وانشأُوا المستعمرات في كل مكان وصلوا اليهِ ومن اعظم مستعمراتهم قادس في اسبانيا انشأُوها سنة ١١٠٠ قبل المسيح وقرطاجنة في افريقية انشأُوها سنة ٨١٤ قبل المسيح ثم اخترقت سفنهم عباب الاوقيانوس الاتلنتيكي وضربت شمالاً ومن المرجح انهم بلغوا الجزائر

البريطانية ومعهم بضائع البلدان الواقعة على بحر الروم وعادوا بالقصدير من كورنول والذهب من ارلندا

وسيفي ذلك العصر كانت الشعوب النازلة حول بحر الروم قد انتظمت بعضها مع بعض واتحدت كلمتها على غزو القطر المصري فغزتهُ برًّا وبحرًا واجتاحت جانبًا من الدلتا (الوجه البحري) الى ان طردها منهُ الملك منفتاح الاول

ثم ذكر الخطيب ان تجار الفينيقيين وغيرهم من الامم القاطنة في سواحل بحر الروم دخلوا اواسط اوربا بطريق تريستا ومرسيليا قبل زمن التاريخ وضربت قوافلهم فيها شرقًا وغربًا وشمالاً وكانت تعطي الاهالي الاسلحة والحلى كالسيوف والفؤوس والخناجر والاساور والمرايا والابازيم وغيرها من المصنوعات وتأخذ منهم الكهرباء التي يجلبونها من السواحل الشمالية. وقال ان ذلك كلهُ عرفهُ اهل البحث حديثًا وهو نتيجة لازمة عن المباحث الاركيولوجيَّة التي تمَّت في العشرين السنة الاخيرة . وقول هذا العلاَّمة حجَّة يؤخذ بها ويعتمَد عليها في هذه المباحث وامثالها

وكتب المستر اڤانس مكتشف آثار كريت التي وصفناها في الجزء الثالث من هذه السنة ان عمران تلك الجزيرة قديم جدًّا متَّصلٌ بعمران سورية واسيا الصغرى وفيهِ ادلَّة كثيرة تدلُّ على انهُ نشأ عند شعب اقدم عهدًا من الآريين ومن الساميين ايضًا وان هذا الشعب كان يسكن سورية وفلسطين واسيا الصغرى منذ عهد قديم جدًّا

ولا يخفى ان تاريخ المصريين اقدم من تاريخ الفينيقيين وعمرانهم اعظم وادلتهُ اكثر واثبت . وهم وان اضاعوا من عمرهم كأُمَّة خمسة عشر قرنًا كان التأخر رائدهم فيها الاَّ ان نوائب الدهر هادنتهم اخيرًا وقد هبُّوا من سباتهم الآن ولا بعد ان يستردُّوا مجدهم السالف بعد اعوام قليلة . اما اخوانهم ابناء الشام فلا ندري الى متى يبقى النحس طالعهم وهل يصفو لهم الدهر بعد كدرهِ ما دام في قوس الرجاء منزع او تطوّح بهم نوائب الزمن فيستوطن اكثرهم البلدان التي هاجروا اليها ولا يبقى منهم في بلادهم بقيَّة تذكر

ولسنا بأول من فاتهُ على رفقهِ بعض ما يطلبُ
وقد يدرك الأمرَ غيرُ الاريبِ وقد يُصرَعُ الحُوَّل القلَّبُ (١)
ولكن لها آمرٌ قادرٌ اذا حاول الامر لا يُغلَبُ

نسألهُ تعالى اصلاح الحال وحفظ البقية الباقية والرفق بعبادهِ انهُ السميع المجيب

(١) المحوّل القلب البصير بتقلب الامور